بين أبي العلاء المعري

وداعى الدعاة الفاطمى

خمس رسائل مفيدة

دارت بين حكيم الشعراء أبى العلاء المعرى والمؤيد فى الدين

أبى النصر بن أبى عمران داعى دعاة الفاطميين

حول فلسفة أبي العلاء واجتنابه أكل اللحوم

وما كتبه أبو العلاء هنا هو آخر ما أملاه من آثاره الأدبية



القاهرة

١٣٤٩

المطبعة السلفية - ومكتبتها

بين أبي العلاء المعري

وداعي الدعاة الفاطمي

خمس رسائل مفيدة

دارت بين حكيم الشعراء أبي العلاء المعري والمؤيد في الدين

أبي نصر بن أبي عمران داعي دعاة الفاطميين

حول فلسفة أبي العلاء واجتنابه أكل اللحوم

وما كتبه أبو العلاء هنا هو آخر ما أملاه من آثاره الأدبية

القاهرة

١٣٤٩

المطبعة السلفية - ومكتبتها




مكتبة
التنوير

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فان المعروف عن حكيم الشعراء وشاعر الحكماء أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخيّ أنه كان يعيش عيشة الزهد، وهو القائل:

فاتركْ لأهل الملك لذّاتهم فحَسْبُنا الكمأةُ والاحبلُ

ونشرب الماء براحاتنا ان لم يكن ما بيننا جُنبُل (١)

وكان في الشطر الثاني من حياته صائم الدهر، مجتنباً أصناف اللحوم متعففاً عن صيد البر والبحر، حتى لقد مرض مرة فوصف له الطبيبُ الفرّوجَ، فلما جيء به لمسه بيده وقال:

استضعفوك فوصفوك، هلاّ وصفوا شبل الاسد!

واستدل وطنيه ابن الوردي من قول تلميذه أبي الحسن علي بن الهمام في رثائه:

ان كنتَ لم ترِقِ الدماء زهادة فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

على أن اجتنابه أكل اللحم كان عن زهد مباح، لا عن رأي في ذلك يخالف به الاديان. وذلك من قبيل ما روي عن رسول الله ﷺ أن أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشربة بعسل فوضع القدح من يده وقال «أما اني لست أحرّمه، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى»

---

(١) الجنبل: قدح من الخشب، والاحبل اللوبياء



وفي السنة التي انتقل فيها هذا النابغة الزاهد العظيم الى رحمة ربه زار مدينة حلب أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران أحد كبار علماء الامامية المتبوىء منصب داعي الدعاة الى مذهب الفاطميين ، فأراد أن يداعب الشاعر الحكيم وهو في آخر شيخوخته ، فكتب اليه يستنكر اجتنابه أكل اللحوم ويسأله بيان الحجة في استحسان هذا النوع من الزهد ، ودارت بينهما على أثر ذلك هذه الرسائل الخمس التي كان آخرها بقلم داعي الدعاة الفاطمي وكان وصول تلك الرسالة الى المعرة عند وفاة شيخها وحكيمها رحمه الله

وكان ياقوت الحموي قد اختصر هذه الرسائل وأوردها في معجم الادباء ، وأشار صديقي العلامة الجليل الاستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي[1] الى وجودها كاملة في خزانة ليدن[2] . وبينما كنا مع حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن قراعة (أيام ولايته الافتاء في الديار المصرية) في زيارة فقيد العربية والاسلام أحمد تيمور باشا رحمه الله جاء ذكر هذه الرسائل فأطلعنا الباشا على نسخة منها في خزانته (تحت رقم ٤٧٨ أدب) وهي بخط الشيخ الفحماوي المعروف بجودة خطه ، نقلها عن نسخة كتبت سنة ٦٢٠ هـ ، وقد استحسن كل من الاستاذ المفتي والاستاذ تيمور باشا احياءها بالطبع ، لأن عظماءنا الذين من طبقة أبي العلاء لايجوز أن يبقى شيء من آثارهم غير مطبوع ، ولأن مابين أيدينا من آثار الفاطميين في منتهى القلة ؛ فبادرت الى نشرها في الزهراء ، وأفردتها في هذه الرسالة على حدة . والله وليّ الاعانة

محب الدين الخطيب

(١) أبو العلاء وما اليه (ص ٢٤٥)
(٢) انظر فهرس بخزانة ليدن ١ : ٢٩٦



بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة المؤيد في الدين داعي الدعاة الفاطمي

الى أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعرّي

الشيخُ (أحسن الله توفيقه) الناطقُ بلسان الفضل والادب الذي ترك مَن عداه صامتاً ، مشهودٌ له بهذه الفضيلة مِن كلّ مَن هو فوق البسيطة. غير أن الادب الذي هو جالينوسُ طبّه ، وعنده مفاتح غيبه ، ليس مما يفيده كبيرَ فائدة في معاشه أو معاده ، سِوى الذِكرِ السائر به الركبانُ مما هو اذا نشأ مع المذكور به [1] علم أنه له [2] بمكانة الجمال والزينة مادام حيّاً ، فاذا رمت به يدُ المنون من ظهر الارض الى بطنها فلا بحسنِ ذكره ينتفع ، ولا بقبحه يستضرّ . واذا كانت الصورة هذه كان مستحيلاً منه (أيده الله) مع وفور عقله أن جعل موادّه كلَّها منصبةً الى إحكام اللغة العربية والتقعّر فيها ، واستيفاء أقسام ألفاظها ومعانيها ، ووفّر عمرَه على ما لا نتيجة له منها : فترك نفسَه المتوقدةَ نارُ ذكائها خِلواً من النظر في شأن مَعاده ، وأن يختار من علمه ما هو أنفع فيمكث إذا ذهب الزبَد جفاءً من غيره ؛ فاذا هو (حرسَ الله عزّه) بمقتضى هذا الحكم مرْتوٍ من عذب مَشرب هذا العلم ، وإنما ليس يبوح به لضرب من ضروب السياسة . والدليل على كونه ناظراً لمعاده بدقيق النظر الذي لايكاد يجري معه جارٍ في ميدانه سلوكُه المسلكَ الذي سلكه في الزهد ، وقصدُه شظفَ العيش ، وتعوّضه عن لذيذ الطعام بالكريه ، وعن ليّن اللباس بالخشن ، وتعففُه عن أن يجعل جوفَه

(١) كانت في الاصل « اذا نشأ مع المذكور به »
(٢) في الاصل « أن له »



للحَيوان مدفنا ، أو أن يذوق من دَرّها لبنا [١] ، وأن يستطعم من طعامٍ استكدّت عليه في حرثه وإنشائه . وليست هذه الطريقة إلا طريقة من يعتقد أنه إذا آلمها ونال نيلاً منها استوفى جزاء فعله بها . ومَن كانت هذه نصبته [٢] في سلامة البهيمة العجماء منه فكيف في إيثار سلامة الانسان الناطق العاقل من يده ولسانه . ولعمرُ الله لقد امتدّ بهذا البال [٣] الى أقصى الشوط من ميدان الزهد ، وانتهى فيه الى أبعد البعد

ولما رأيته على ظهر الغيب قد تميّز بما ادّعى الناس له من الفضل ، وشفعه بالزهد المستولي عن مقر الفهم والبصيرة ، دون الجهل مما يقوله جهّال الزهّاد ، الذين يهيمون من العماية فى كل واد . وسمعت داعية البيت الذي يُعزى اليه وهو قوله :

غدوت مريض الدين والعقل فالْقَني لتعلم أنباء الأمور الصحائح

وهي تدعو إلى الاستنارة بأنواره ، والاهتداء بمناره ، شددتُ إليه راحلة العليل فى دينه وعقله إلى الصحيح الذي ينبيء أنباء الأمور الصحائح ، كما أهدى إلى مايوقظ من سِنة الغفلة مقبول النصائح . وأنا أول مُلَبّ لدعوته ، معترف بحيرته ، مغترف من بحر ارشاده وهدايته . وهو حقيق بأن يكون عند آخر وعده بالتبيين والايضاح ، وأن يتوقّد ـ لكشف حنادس فكري ـ توقّدَ المصباح ، وأن لا يوطئني العشواء فيسلك بى فى المجاهل ، ولا يعتمد فى إيراد مايورده أن يلبس الحقّ بالباطل . وأوّل سؤالي (ادام الله سلامته) سؤالٌ خفيف فيما ليس يهم كثيرا ، أقصد فيه

(١) جرى داعي الدعاة على تأنيث الحيوان والنبات في رسالته هذه
(٢) كذا فى الاصل ولعلها « قضيته » أو لفظة أخرى بمعنى مذهبه أو طريقته
(٣) كانت في الاصل « البالي »



اعتبار فعله بى فى الجواب ، فان استنشقت نسيم الشفاء سقت السؤال إلى المهمّ. وإن تكن الأُخرى وقفت بحيث انهيت . وبالله التوفيق :

أسأله عن العلّة في تحريمه على نفسه اللحوم والألبان وكلّ مايصدر الى الوجود من منافع الحيوان ، سؤالَ من يعرف بكونها مخلوقة للاشخاص البشرية مما هو قولُ أهل الشرائع من القول ، ويتوكأ على عصا العقل . وأقول :

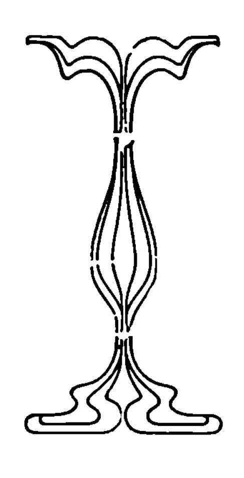
أليس النباتُ موضوعهاالحيوان التي تمتارُ منها ، وبوجودهاوجودُها واستقامتها في حفظ أعوانها وولادة مواليدها ؟ وانما يستولى الحيوانءليها بالقوة الحسّاسة التي ترجّح بها على النبات من حيث كونها نامية فقط وليست بحساسة ، فلولم يكن للحيوان لكان موضوع النبات باطلا لامعنى له . وعلى هذه القضية ، فانّ القوة الانسانية مستولية على الحيوان استيلاء الحيوان على النبات لرجحانها عليها بالنطق والعقل ؛ فهي مسخّرة بجميعها ، فمنها ماتأكل من لحومه وألبانه ، ومنها ماتستنفع بجلوده وأوباره ، ومنها ماتنتفع بمرائره ، ومنها ماتنتفع بأنيابه ومخالبه ، ولو لم يكن ذلك كذلك لكان موضوع الحيوان باطلا على حسب ماقدمناه من ذكر النبات ، وكون موضوعها لولاوجود الحيوان باطلا . واذا كان ترتيب موجودات العالم هذا الترتيب فتجافي الشيخ وفّقه الله عن الانتفاع بما هو مخلوق له إبطالٌ لترتيب الخلقة ودفع في وجه المصلحة . ثم ان امتناعه من أكل الحيوان ليس يخلو القصد فيه من أحد أمرين : إما أن تأخذه رأفة بها ، فلا يرى تناولها بالمكروه ، وما ينبغي أن يكون أرأف بها من الله سبحانه الذي خلقها وهيأها لمصالح البشر . فان قال قائل : ان الذي أطلق القول بأن هذا حلال وهذا حرام هو بعض البشر ـ يعني أصحاب الشرائع ـ وأن الخالق ما أباح اراقة دم حيوان ولا أكل لحمه ، كان الدليل على



بطلان قوله وقوع المشاهدة لجنس السباع وجوارح الطير التي خلقها الله سبحانه على صنيعة لاتصلح الا لنتش اللحم وفسخها وتمزيق الحيوان وأكلها . واذا كان هذا الشكل قائم العين في الفطرة ، كان جنس البشر وسيع العذر في أكل اللحوم ، وكان من أجل ذلك لم محقاً لا مبطلا وصادقا لا كاذباً . فهذا أحد البابين

واما أنه يجد سفك دماء الحيوان ونزعها عن أرواحها خارجاً من أوضاع الحكمة ، وذلك اعتراضٌ منه على الخالق سبحانه الذي هو أعرف بوجوه الحكمة . وهذا الباب الآخر

واذا أنعم الشيخ (أدام الله توفيقه) وتفضل وساق اليّ حجّة اعتمدها في هذا الباب رجوتُ كشف المرض الذي وقع اعترافي به في مستأنف السؤال بمطلع صبح بيانه ، فيكون قد غرس مني غرساً زكياً ، وهداني صراطا سوياً . ويزداد بمكانه ذلك في موالج الخير ولوجا ، وفي معارج اكتساب فضيلة الشكر والأجر عروجا . بمشيئة الله وعونه





الجواب من أبي العلاء المعري

قال العبد الضعيف العاجز احمد بن عبد الله بن سليمان :

أولُ ما أبدأ به أني أعُدُّ سيدنا الرئيسَ الأجلَّ المؤيدَ في الدين (أطال الله بقاءه، وأدام علاءه) ممن ورث حكمة الأنبياء ، وأعُدّ نفسي الخاطئة من الأغبياء . وهو بكتابه اليّ متواضع ؛ وغيرُ شرفه الخاضع . بل هو مع النجوم جار ، لا يفتقر ليله الى الانفجار . واللفظة من كلامه ، تقضي على كل من خالف بعلامه ، وقد حضرَتني فيما نطق به دقائق ، هنّ لدى الكشف حقائق . ومَن أنا حتى يكتُبَ اليّ ؟ مثَله في ذلك مثَل الثريا الطالعة كتبتْ الى الثرى ، وهو لا يسمع ولا يرى . وقد علم الله أن سَمعي ثقيل ، وبصري عن الابصار كليل . قُضيَ عليّ وأنا ابن أربع ، لا أفرق بين البازل وبين الرُبَع[1] . ثم توالت مِحَني ، حتى أشبه شخصي العودَ المنحني . ومُنيتُ في أخرى العمر بالاقعاد ، وعَداني عن النهضَة عاد

وأمّا اشتهار اسمي فقد شهد الله جلَّت عظمته أنّي لا أرغب فيه ، إذ نفسي لديّ حقُّت بالتسفيه . والذّمّ في ذلك لغيري لأنه يظن ظنونًا كاذبة ، لا تزال عن صدق عازبَة . والكريمُ الصادق يقيسُ سجيّات العالَم على سجاياه ، فيظن المبطئة من نجاياه

فأمّا ما ذكره سيّدُنا الرئيس الأجلُّ المؤيد في الدين (لا زال مفحماً للمخالف ، وناصراً الموالي المؤالِف) فلعبدُ الضعيفُ العاجزُ يذكرُ له ممّا عاناه طرَفًا ، امل عذره يمسي معترَفاً . فأقول : ان الله عزّت عظمتُه حكم عليّ بالازهاد فطفِقْتُ منَ العدم في جهاد . وتعرّضتُ للدنيا الخادعة تعرّضَ نكْلٍ عاجز ،

(١) الربع : الفصيل الذي ينتج في الربيع . والبازل : البعير اذا دخل في السنة التاسعة . وكانت في الاصل « بين البازل وبين الاربع » وصحح من معجم الادباء لياقوت ١ : ١٩٨



ليس لحظوتها بالمناجز . فرمحتني كرَمح الشّموس ، وقالت لي : عليك بالرّموس . ونادَتْ : صاحبي سواك ، ولن أبلغ هوَاك . وانصرفتُ كما قيل في المثل : مُكْرَهٌ أخوك لا بطل ، وحظّي من الحليّ المعطَل . فغفلتُ برهة ثم أبهْت ، ونبّهني الفكر فانتبهْت . وهْو يجلُّ أن أكون سائلا له أو مسئولا ، بل هو الأيك أتبعُهُ مؤْولا . ولكني أحكي المسئلة عن غيري ، وان كنت أبتغي بها ميْري . وأما قول العبد الضعيف :

غدوت مريض الدّين والعقل فألقني لتسمعَ أنباء الامور الصحائح

فانما خاطب به مَن غمرَه الجهْل ، لا من هو للرياسة عَلَمٌ وأهل . وقد عَلِمَ (جمَّلَ الله الحكمة ببقائه) أنّ الحيوان كلّه حسّاسٌ يقع به الألم ، وحالُه في ذلك يعلم . وقد سمع العبد الضعيف العاجزُ شيئاً من اختلاف القُدَماء يكون فيما سَمِعه سيدُنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين (لا فتيء الى المنار هادياً ، وعلى من احتذاه المصلحة حادياً) جزءاً من أجزاء تجاوز في العدد ألوفاً ، ويوجد يقينُها مألوفاً

فأول ما يبدأ به أن قائلا من البشر لو قال : اذا تبينّا القضية المركبة من المسند والمسند اليه ولها واسطتان إحداهما نافية والأخرى استثنائية فقلنا : « الله لا يفعل الاخيراً » أفهذه القضية كاذبة أم صادقة ؟ فان قيل انها صادقة رأينا الشرور غوالب ، والخيرات الملتمسة قوالب . فعلمنا أن ذلك سرٌ خفيٌ ، لا يشعر به الا الحفيّ . وفي الكتاب الكريم « وإن تُصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله ، وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك . قل كلٌ من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » فان قال القائل قد روي أن النبي ﷺ كان اذا أراد السفَر قال : « اللهم إنا نعوذ بك من وعْثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر في الأهل والمال والولد » أفهذه الأشياء التي تعوّذ منها خيرات أم شرور ، لا يكمل بها السرور ؟ فان قال قائل : هي مخوفة منكرة فقد أبطل القضية التي هي متقدمة ، لأنها



لما سلفَ طَرودٌ ممدمة . وان قال : القضية المذكورة لا تصح ، فالسائل بِنَبِيِّه الأدب يلح . فان قال : القضية منعكسة ، وهي بعد بحث منتكسة . فقد لزمه أن يقول : ان الله سبحانه يفعل الخير والشر . فان أبى ذلك رجع الى ما يقوله المجوس من أن للعالَمِ خالقَيْن : أحدُهما بُردان وهو فاعل الخير ، والآخر أهرُمُنْ وهو فاعل الشر . ومعاذ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نكرم شرعنا ، ونبسط في اتّباعه ذَرْعَنا . ولما تُوفي ابراهيم عليه السلام بكى عليه ، فقيل : يارسول الله أنت تنهانا عن البكاء . فقال : تدمع العين ، ويخشع القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب ، وانّا عليك ياإبراهيم لمحزونون . أفموت ابراهيم مما كان النبي عليه السلام يراه خيراً أم شراً ؟ ويقول القائل المجتريء : أفما كان من قتل الحسيْن وسمّ الحسن ، المشرّد عن العين طيب الوسَنْ ، أخيراً أم شراً ؟ فان قال انه خير ، فعلام نلعن القاتل في صُبْح مساء ، ونزعمُ أن سُفنَه في المآثم ذوات ارساء ؟ وللباري عزَّتْ قدرته أسرار ، وقف دونها الابرار . ولعل هذه الأشياء مخفاة ، الى أن تقبضَ الحي وفاة . وكذلك الذين قُتِلوا يوم أُحُدٍ شأنهم مُشكل ، والنظر في حديثهم يُشكل . أفقتلُ حمزةَ حُسِبَ مما يحمد ، أم هو عَبْرة العيْن ورمد ؟ والحديث المشهور أن الغُزاة لما رجعوا الى المدينة بكت النساء على قتلاها فقال ﷺ « لكنْ حمزةُ لا بَوا كيَ له » فصار النساء يبدأن ببكاء حمزة ثم ينتقلْنَ الى من فارقهنّ . وقال كعب بن مالك الأنصاريّ :

صَفيّة قومي ولا تعجزي وبكّي النساء على حمزةِ
ولا تتركي أن تُطيلي البكا ءَ على أسَدِ الله في الهزّةِ

والبكاء انما يحدث من الحزَن ، وان الايام لكثيرة المِحَن

ولم يزل من ينتسب الى الدين يرغب في هجران اللحوم ، لأنها لا يوصَل اليها الا بالايلام لحيوان ، يفرّ منه في كل أوان . وان الضّانية لتكونُ في محل القوم



وهي حامل[١] ، فاذا وضعَتْ وبلغ ولدُها شهراً أو نحوه اعتُبط فأُكل نحضُه ورغبُوا في اللبن ، ولم يعتدّوا ذلك من الغبَن . وباتت أمُّه ناغية ، لو تقدر لسمّت له باغية . وقد تردَّد في كلام العرب ذكر ما يلحقُ الوحشيّة من الوجْد ، وتردّدها من الفلَة بغَور ونجْد . وكذلك ولد الناقة اذا فقدت الفصيل ، ذكرته غداتَها والأصيل . كما قال القائل :

فما وَجَدتْ كوجْدي أمُّ سقْبٍ أضلّتْه فرجّعَتِ الحنينا
ولا شَمطاء لم يترك شقاها لهـا من تسعة الا جنينا

وقال الآخر :

فما وجْدُ أظآرٍ ثلاثٍ رَوائمٍ أصبْنَ مجوراً من جوارٍ ومصرعا
يُذكّرْن ذا الشَّجْوِ الحزينَ بشَجْوِه اذا ناحتِ الأولى سَجَعْنَ لهـا معا
بأوْجَدَ مني يوم فارقتُ مالـكا فأصبحْتُ محزوناً لذاك مُفجّعا

وقال الآخر :

كأن قُتُود[٢] رَحلي يومَ ضَمّتْ حَوالب غُرُزاً ومِعىً جياعاً
على وحشية خلجَتْ خلوجاً وكان لهـا طلاً طفل فضاعا
فكرَّتْ عنـد فيقتها اليـه فألفَتْ عند مربضه السباعا
لعبْنَ به فلم يتركن الاّ إهَابا قد تمزّق أو كُراعا

شبّه ناقته في سرعتها وترددها بالوحشية المفجوعة بولدها ، لأنها نهاية في الاسف والقلق . وقال أبو ذؤَيْب الهُذَلي :

أوْدى بنيَّ وأعقبوني حسرة بعد الرّقاد وعبْرة ما تقلِعُ
فالعين بعدهمُ كأن حداقها سُمِلت بشوك ، فهي عورٌ تدمع

أفهذا خير أم شر ؟ وقال أبو ذؤيب[٣] أيضاً :

(١) كانت في الاصل « حائل » (٢) رواية اللسان بمادة « غرز » : لـوع
(١) كانت في الاصل « أبو زيد »



فَدَع عنك هذا ولا تبتهج لخيرٍ ، ولا تَبْتَئِس عند ضُرّ
وخفّضْ عليك من الحادثا تِ ولا تُلْفَيَنّ كئيباً بشرّ
فان الرجال الى الحادثا ت فاستبقين أحبّ الجزرْ
أبعْدَ ابن عجْرَةَ ليث العرين أمسى كأن لم يكن ذا نفرْ
وهم سبعةٌ كعوالي الرِّما ح حسان الوجوه لطاف الأُزُرْ

فيقال ان ابن عجرة قُتل له سبعة بنين في وقت واحد . وقد قيل ان أبا ذُؤيب كان له سبعة بنين فشربوا من لبن قد شربت منه حية ثم قاءت فيه فهلكوا في يوم واحد

وللسائل أن يقول : ان كان الخير لا يريد ربنا عزّت قدرته سواه فالشرُّ لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون قد علم به ، واما أن يكون غير عالم به (ونعوذ بالله من هذه المقالة) . فان كان عالما به فلا يخلو من أحد أمرين : اما أن يكون مريداً له ، أو غير مريد . فان كان مريداً فكأنه الفاعل كما أن القائل يقول : قطعَ الأمير يدَ السارق ، فالأميرُ قطعها الا أنه لم يل ذلك بنفسه . وان كان غير مريد له فقد جاز عليه ما لا يجوز مثله على أمير في الارض له نظراء كثير ، لانه اذا فُعل في ولايته شيء لا يرضاه نكره أشد النكير ، وأمر بزواله عن غير . هذه العُقد قد جَهد في حلها المتكلمون من أهل الشرائع فلم يجدوا لها انحلالا ، وأصبح مقالهم ضلالا

ويقول القائل : قد ذكرت الانبياء عليهم السلام أن الباريء جلت قدرته رءوف رحيم ، ونشاهد ما هو على غير ذلك دليل ، لانه لو رأف ببني آدم لوجب أن يرأف بغيرهم من أصناف الحيوان الذي يجد الالم بأدنى شيء . ولمَ يخصّ الانس بذلك وهم الذين يجنون الكبائر ويُقدمون على إتيان الذنوب ؟ وقد علم أن الوحشَ الراتعةَ يدنو اليها الفارس فيطعنُ العيرَ والاتان ، وربما كانوا جماعة فصادوا الاتنَ والاعيار وهن ما أسديْنَ اليهم أذاة ، ولا أشتكوا منهم شذاة .



ولم يقنعوا بالكافي العاجل ، دون ما قدر فى الآجل . ولاي حال استوجب من يفعل بها هذا الرأفة ، وهي لم تشرب من المآثم بذنوب ، ولم تحص ما يكتب من الذنوب ؟ وقد رأينا الجيشين المنتسب كل واحد منهما الى الشرع المنفرد يلتقيان وكلاهما في مدد ، ويُقتل بينهما آلافُ عدد . أفهذا محسوبٌ من أيّ الوجهين، فليس عند النظر بهين.

فلما رأى العبد الضعيف العاجز اختلاف الاقوال ، وأيقن بنفادٍ وزوال . وبلغ ثلاثين عاماً ، سأل ربه انعاما . فرزقه صوم الدهر ، فلم يُفطر في السنة ولا الشهر . الا في العيدين ، وصبر على توالى الجديدين . ولزم الامساك عن المآكل الا أن يَلحقه المرض ، فيخاف معه الجَرَض . وظن اقتناعه بالنبات ، يثبت له في العاقبة جميلَ الانبات . ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير . وفى الكتاب العزيز « إن تحرِصْ على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين »

وقد علم سيدنا الرئيس الاجلُّ المؤيد في الدين (لا برح كوكباً يفزع اليه الحائر ، ونوراً يهتَدِي به الساري والسائر[1]) أني الى ارشاده أفقرُ منه الى ارشادي ، وقد أسلف اليّ الايادي . والعبد الضعيف العاجز يسأل أن يشفع يداً بيد ، ليتم نفعها في الابد . ولا ريب أنه نظر في الكتب المتقدمة وما حكي عن جالينوس وغيره من اعتقاد ، يدل على خبرة الانتقاد . واذا قيل ان الباريء رءوف رحيم فلِمَ يُسلَّط لاسد على افتراس نسمة انسية ، ليست بالمفسدة ولا القَسِيَّة . ولمَ مات بلذع الحيَّات جماعة مشهورة ، ما هي بالزَّل مهورة[2] ؟ وقد قال القائل ـ بعد أن وصف رجلاً بشجاعة واقدام ، وأنه لم يكن من اللئام الافدام ـ :

فمضى وأدركه الحِمام بقفرة في رأس صِلّ كالهراوة أعصلِ

وقال الهذلي :

كحية جُحرٍ في وجار مقيمة تنمّى لها سوق الدُنى والجوالب

(١) كانت في الاصل « السري والسائر »

(٢) من هاره بكذا أي ظنه به



وما الطير الراضية بلقط الحبة ، الراجعة بها الى الاحبة . فسلّط عليها بازي أو صقر ، فمنعها من النقر . وان القَطاةَ لتدَعُ فراخها ظمآء ، وتبتكر لترد ماء . تحمله اليها في القِربة ، وترجع به الى الدُّربة . فيصادفها دون المدهن أجدل ، ما هو بصيدها مُبْدَل . فينال الظفَرَ بقوت ، ما هو عليه بالممقوت . ويهلك أفراخها أواما ، أفراداً في الغمْص لا توأما . ألحقت الرأفة بازياً أو كدرية ، فأخذتْ غصباً أو درية . « وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » . وقال بعض الملْحِدَة ـ وأعوذ بالله أنْ أكون أحد المعترضين ، الذين هم للسخط معترضين [(١)] ـ في الكتاب العزيز « وأنه أهلك عاداً الاولى ، وثمود فما أبقى ، وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى ، والمؤتفكةَ أهوى ، فغشّاها ما غشّى » : ان كان الباريء جلت قدرته خلقهم وهو يعلم أنهم مجرمون ، يحرمون التوبة ولا يرحمون . فكان ينبغي أن لا يخلقهم ؛ لان خلقهم أدّاهم الى العذاب ، والتجرّع من الصاب . وان كان لا يعلم بما يصيرون اليه فهو كغيره من الفاعلين . وقد يربّي الرجل ولداً فيكون عاقاً ، أو يملك عبداً فيخرج معانداً مشاقا . ومعاذ الله أن نقول ذلك ، بل نسلم ونتلو الآية « من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا » وقد أقدم الكفرة على أعظم خطب ، وحطبوا على ظهورهم أشأم حطب . وفي الكتاب الاشرف « أوَلَمْ يرَ الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين . وضرب لنا مَثَلاً ونسي خَلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحييها الذي أنشأها أولَ مرة وهو بكل خَلق عليم » وهذه حجةٌ بالغة في أن خلقها مبتدَعة ، أبعَدُ من انشائها مرتجعة . ثم قال سبحانه « الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون » فتبارك الله العظيم القادر على أن يحرق بورقة خضراء ، مَن فوق الراكدة والغبراء « أوليس الذي خلق السماوات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم ، انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء

(١) كذا الاصل ولعلها مركبة من كلمتين وقع فيهما تحريف



واليه ترجعون » اشهدُ الله الذي بأذنه نشأت السماوات والارض ، أني مُقرٌّ بالقدرة على الرَّجعة ، والخوف من الآخرة . احافظ على صلاتي وأصوم ، واعتصمُ لعلي معصوم . وأبرأ من قول الكافر[1] :

أتمت بالتحية أمُّ بكرٍ فحيوا أمَّ بكر بالسلام
وكائن بالطوي طوي بدر من الشيزى تكلل بالسنام[2]
ألا يا أمَّ بكر لا تكرّي[3] على الكاس بعد أخي هشام
وبعد أخي أبيه وكان قرماً من الاقرام شرّاب المدام
ألا من مبلغ الرحمن عني بأني مفطرٌ شهر الصيام
اذا ما الرأس زايل منكبيه فقد شبع الانيسُ من الطعام
أيوعدُنا ابن كبشة أن سنحيي وكيف حياة أصداء وهام[4]
أيعجز أن يرد الموت عني ويحييني اذا بليت عظامي

ولعن الله القائل ، ويقال انه الوليدُ بن يزيد بن عبد الملك[5] :

أدْنِيا مني خليلي عند لادون الأزار
فلقد أيقنتُ أني غير مبعُوثٍ لنار
سأروض الناسَ حتى يركبوا دينَ الحمار
واتركنْ من يطلب الجنة يسعى في خسار

---

(١) هو ابن سوادة
(٢) الطوي البئر . والشيزى شجر الابنوس تتخذ منه الجفان . وقد ذكرها الشاعر واراد أصحابها في معرض رثائهم أنهم كانوا كراما ثم دفنوا في قليب بدر
(٣) في نسخة « لاتحيّي »
(٤) من مشاهير العرب رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الاوثان ، وعبد كوكب الشعرى العبور ، وكانت كنيته « أبا كبشه » فلما خالف نبينا صلى الله عليه وسلم قريشاً في عبادة الاوثان ودعا الى دين التوحيد تذكروا ذلك الخزاعي فقالوا « ابن أبي كبشة »
(٥) لمولانا شمس العلماء الشيخ شبلي النعماني بحث ممتع في نفي هذه السخافات عن الوليد بن يزيد (انظر انتقاده تاريخ التمدن الاسلامي لزيدان ص ٢٠)



وهذان البيتان يؤوبان لرُجل يقالُ له الوليد قيل [١] هو الوليدُ بن عبد الملك وقيل هو الوليـد بنُ يزيد ، وأيهما كان فقد أقدم على الهاوية ، بنفس ليست لما حمدَ بالنّاوية ، ولا من لهيب جهنم بالناجية . وذلك أنه كُتبَ له مصحفٌ فلما كمُل نظرَ فيه فاتّفق أن خرجتْ له الآية وهي قوله سبحانه « واستفتحوا وخاب كل جبّار عنيد » فمزقه وقال [٢] :

أتوعد كلّ جبّارٍ عنيد　　فها أنا ذاك جبارٌ عنيد
اذا لاقيتَ ربك يوم حشر　　فقل يارب مزّقني الوليـد

والوليد بن عبد الملك كان لحّاناً لحناً لايقـدر صاحبُه أن ينظمَ مثلَ هذين البيتين . وويل للحكميّ [٣] إن كان يعتقد ما يقـال انه وجد في بيته بعد موته مكتوبا وذلك قوله :

باح لساني بمضمر السّر　　وذك أني أقولُ بالدهر
وليس بعـد الممات حادثة　　وانما الموت بيضة العُقر

وويح لعبـد السلام بن رغبان الملقب بديك الجن ان كان مات وهو مصرّ على قوله :

هي الدنيا وقد وعدوا بأخرى　　وتـسويف الظنون من السواف
فان يك بعض ماقالوه حقا　　فان المبتليك هو المعافي

فأما قول النبي ﷺ « لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر » فانما أراد أنّ الذي يقضي عليكم بذلك هو الحي القيوم الذي تسجد له الشمس والقمر وتشـهد به كل المخلوقات . ولم تزل العرب تذم الدهر في قديم وحديث ، قال الشاعر :

الدهر أبلاني وما أبليتُه　　والدهر غـيرني وما يتغيرُ

---

(١) في الاصل « بل »
(٢) وهذه الحادثة نفاها العلامة الشيخ شبلي النعماني وأنكر صحتها　(٣) هو أبو نواس



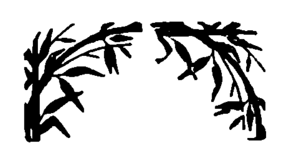
والدهر قيدني بقيْد مبرمٍ ومشيت فيه فكل يوم يقصرُ

فقال من يذهبُ الى أن الله تباركت أسماؤُه يفعل الخير والشر ، فطلقٌ أفضل أم مقيد ، موسوم بالنوب مميَّد ؟ بعد ماكان يفري الفريَّ ، ويحسب السَّري . وقال نَفْر بنُ عبد القيس جدّ الطِّرمَّاح الطائي :

ألا قالت بهيئة مالنفرِ أراه غيّرت منه الدهورُ
فقلت وأنتِ قد غيّرتِ بعدي وكنتِ كأنكِ الشعرى العبُورُ

أفخيرٌ للمرأة أن تكونَ كالواحدة من الشعْرَيَيْن ، أم كونها عجوزاً تعجز عن حمل المِدْرَيَيْن ؟

ومما حثَّني على ترك أكل الحيوان أن الذي لي في السنة نيف وعشرون دينارا فاذا أخذ خادمي بعض مايجب ، بقيَ مالا يعجب . فاقتصرتُ على فولٍ وبُلْسُن ، ومالا يعذب بالألسن . فأما الآن فاذا صار الى من يخدمني عندي وعنده هين ، فما حظي الا اليسير المنمين . ولستُ أريد في رزقي زيادة ، ولا أوثر لسقمي عيادة . وأضمر من عقبايَ الحذر ، وذكرت ماذكرته لأعذر . والسلام





الجواب من المؤيد في الدين الى المعري

عن جوابه عن رسالته الأولى

حوشيَ الشيخُ (أدام الله سلامته) من أن يكون ممن فطن في مرض دينه وعقله لعلته، وأجاب دعوةَ الداعي منه بالبيت الشائع عنه لنيل شفاء غلته. يزيده الى علته علة وقد ضمن له الصحة، وضيّقه الى ضيقه من حيث أمل الفسحة. إذن يكون كما قال المتنبيء:

أظمتْنيَ الدنيا، فلما جئتُها   مستسقياً مَطرت عليّ مصائبا

كان سؤالي له (حرسه الله) في شيء يختصّ بنفسه في هجره ما يشدُّ الجسم من اللحم الذي ينبت اللحَم، وقلتُ: ان الموجود من ترتيب الخلقة أن النبات مخلوقة للحيوان، والحيوان العجماء مخلوقة لمنافع الانسان. وأنه ان أنكر منكرٌ أن الله تعالى فسح في ذبحها، والتناول من لحمها؛ قلنا له: إن الدليل على بطلان قوله ما نراه من بعض أجناس الحيوان سباعاً وطيراً. وكونه مخلوقاً لفسخ اللحوم وأكلها والانتفاع بها، فبالحريّ أن يكون لنا السبيل على ما نأكل من لحومه ونتتفع بأصوافه وأوباره. ونحن أفضل من السباع وجوارح الطير، وانّ الذي يمتنع أن يمسه بسوء ما ينبغي أن يكون أرحم وأرأف به من الصانع سبحانه

فقال في الجواب: ان قائلا من البشر لو قال - اذا بيّنا القضيّة الثّنوية فقلنا «الله لا يفعل إلا خيرا» -: فهذه القضية كاذبة أم صادقة؟

فان قال قائل «انها صادقة» فقد رأينا الشرور غوالب، وللخيرات الملتمسة قوالب. الى قوله: رُوِي عن النبي ﷺ أنه كان يقول - إذا أراد السفر - «اللهم



إنّا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال والولد » فهذه الأشياء التي تعوّذ منها خيرات أم شرور ؟

فان قال قائل « بل هي مخوفة منكرة » فقد أبطل القضية الاولى أنه لا يفعل الا خيراً . وان قال « ان قضية الخير وحده لا تصحّ » فالسائل إذا سأله يسيء الادب ويُلحّ . فان أبى أنه يفعل الشرّ جملة كان مرجعه الى قول المجوس في اثبات خالقين أحدهما يفعل الخير والآخر يفعل الشر . وقولُ الشيخ (أيده الله) بعد اقتصاص ذلك كله : ومعاذَ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نَلزَمُ شرعَنا ، ونبسط في اتباعه ذَرعَنا

فأقول مجيباً : أهذه « أنباء الأمور الصحائح » التي يهدي بها من استهدىٰ ، ويُجدي بمثلها على من استجدىٰ (١) ؟ وهل زاد السقيمَ بدوائه هذا إلا سقَماً ، والأعمى الأصمّ في دينه وعقله إلا عمىً وصَمَما

وقوله بعد تقسيم هذه المقالات « ومعاذ الله أن نقول هذه المقالة ، بل نلزم شرعنا » أفشرعنا داخل في جملة هذه التقاسيم ، أم خارج عنها ؟ فان كان داخلاً فيها فأيُّ أقسامها أولى بالاتباع على رأيه (حرسه الله) فنتّبعه ؟ وان كان خارجاً عنها فما هو ، وأيّ هو ؟

على أن هذه الجملة من أولها الى آخرها بنجوة عن سؤالي الاوّل ومعزلٍ عنه ، ولا مناسبة بينها وبينه

وأما ما تبع هذا الفصلَ من ذكر فجعة رسول الله ﷺ بابراهيم ولده عليه السلام ، وذكر سمّ الحسن وقتل الحسين وقتل حمزة عليهم السلام الجاري كله على سياقة واحدة ، والاستخبار عن كون جميع [ذلك] خيراً أو شرّاً ، فهو داخل في مضمار التقاسيم المذكورة التي عددتها وتركها في غواشي ظلماتها ، فقد سبق القول

(١) يشير الى بيت المعري الذي بنيت عليه هذه الرسالة



أنه ما حلّ في السؤال الاوّل من الشبهة عقالا ، بل زاد بهذه الاسئلة تيها وضلالا

وأما القول في أن اللحوم لا يوصل اليها الا بايلام الحيوان ، وإتيانُه بأشعار العرب في حرقة الناقة المفجعة بفصيلها ، فقد سبق القول [بأنه] لا يكون أرأف بها من خالقها ، فليس يخلو من كونه عادلا أو جائراً : فأن كان عادلا فانه سبحانه يقبض أرواح الآكل والمأكول جميعا وذلك مسلم له ، وان كان جائرا لم ينبغ أن نرجع [1] على خالقنا بعدلنا وجوره

وأما قوله وللسائل أن يقول ان كان الخير هو الذي لا يريد ربنا سبحانه سواه فالشر لا يخلو من أحد أمرين : إما أن يكون قد علم به أو لا ، فان كان علم به فلا يخلو من أحد أمرين: اما أن يكون مريدا له أو غير مريد، فان كان مريدا فكأنه الفاعل وان كان غير مريد ففعلُ ما لا يريده الامير في ولايته مذموم فكيف في ولاية رب العالمين سبحانه

فأقول في الجواب : قيل[2] ان انسانا ضاع له مصحف فقيل [له] [3] : اقرأ « والشمس وضحاها » فانك تجده فقال وهذه السورة أيضا فيه. فكذلك أقول ان هذا أيضا من ذاك ، وجميعه ظلمات ، فأين النور؟ وانما قصدناه للنور لنعرف أنباء الامور الصحائح ، كما قاله

وأما قوله (حرسه الله) لما رأى اختلاف الأقوال ، وأيقن بنفاد وزوال ، ولزم الامساك عن المأكل ، وظن اقتناعه بالنبات يثبت له في الآخرة جميل الاثبات ، فما صح لى أن الرب الذي سأله أن يرزقه صوم الدهر هو الذي يريد الخير وحده ولا يريد الشر [أو الذي يريد الشر وحده [3]] أو الذي يريدهما جميعا ، والصوم

(١) وفي الاصل « نتبع أن يرجع »

(٢) كانت في الاصل « فأقول في الجواب ما قيل » وعند ياقوت « فأقول قيل »

(٣) الزيادة من معجم الادباء



فرع على أصلٍ من شرع يأتي به رسول، والرسول يتعلق بمرسل وقضيتنا في المرسل مشتبهة: يبعث رسولا فيريد أن يطاع أم لا يطاع؟ فأن كان يريد أن يطاع فهو مغلوب على ارادته لان من لا يطيعه أكثر[1] وان كان يريد أن لا يطاع فارساله اياه محال وطلبه حجة على الضعفاء ليعذبهم. فان كان موضوع صومه على هذا فلم يفعل شيئا وان كان على غيره مما هو جليّ واضح فهو الذي اطلبه ومن أجله شددت راحلتي اليه

وأما اقتناعه بالنبات لثبات في الآخرة[2]، فالنبات المختص للحيوان للعجماء التي من أجلها خلق النبات، وليس لها في الآخرة قدم ولا ثبات

وأما ما اقتصه من أمر جالينوس في اعتقاد حيرة الامم وقول من قال ان الباري رءوف رحيم فلمَ سلط الأسد على ما يفترس، فهذا كله داخل في ضمن ما أوردناه وغير محتاج عن حكمه[3]، وانما الهرب اليه لهذه الجهة لو َلمحْتُ سنا برق ارشاده، وفاءً للبيت من الشعر الذي بميعاده

واما حكايته قول بعض الملحدين، واستعاذته بالله تعالى أن يكون من المعترضين في قول الله تعالى «وأنه أهلك عاداً الاولى، وثمودَ فما أبقى» الآيات، ان كان الباري سبحانه خلقهم وهو يعلم أنهم مجرمون، والتوبة والانابة يحرّمون، فكان الأولى به وهو الرءوف الرحيم أن لا يخلقهم لئلا يعذبهم. وان كان لا يعلم فهو كأمثالنا ممن يفعل الشيء ولا يدري ما يكون منه. وقول الشيخ بعده: معاذ الله أن نقول ذلك بل نسلم ونتلو الآية «من يَهدِ اللهُ فهو المهتد ومن يُضللْ فلن تجدَ له وليا مرشدا» فليس الملحد اذا قال ان السكّر حلو والخل حامض لا يقبل

(١) كذا عند ياقوت . و في الاصل « فمن لايطيعه اكبر »

(٢) عبارة المعري في الرسالة السابقة «وظن اقتناعه بالنبات، يثبت له في العاقبة جميل الاثبات، ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير»

(٣) كذا الاصل



منه لكونه ملحدا ، وقوله يقتضي جوابا فان كان عند الشيخ أيده الله جواب فهو الذي نبغي أولا فقوله « معاذ الله أن نقول ذلك بل نسلم » فما التسليم في هذا الموضع الا التسليم للملحد لا شيء غيره

وأما تفنيده لرأي من لا يرى رأي الرجعة ولا يؤمن بقوله سبحانه « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة » وقوله ان هذه حجة قاطعة لأن خلقها مبتدعة ابعدُ من انشائها مرتجعة ، واشهاده الله تعالى على نفسه بكونه مقرا بالرجعة والخوف من الآخرة محافظ على صلاته وصومه ، ويبرأ من قول الكافر ولومه :

ألمت بالتحية أمُّ بكر   فحيوا امَّ بكر بالسلام
ألا من مبلغ الرحمن عنى   بأني مفطر شهر الصيام
أيوعدنا ابنُ كبشة أن سنحيا   وكيف حياة أصداء وهام

ويلعن من قال فى آخر ابياته :

سأروض الناس حتى   يركبوا دين الحمار

والذى قال أيضا يسبُّ المصحف ويخاطبه :

اذا لاقيتَ ربك يوم حشر   فقل يارب مزّقني الوليد[1]

وما يجرى هذا المجرى . فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك حاشاه ، وما الذي أوجب الاذكار بكفريات شعرهم واقتضاه ؟ وما كانت به حاجة الى استطراد ذكرهم ، وانشاد شعرهم

وأما روايته عن النبي ﷺ « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » وتفسيره للخبر بكون الذي يقضي عليكم هو الحي القيوم الذي تسجد له الشمس والقمر ، وتشهد به كل المخلوقات ، فهو جالينوس طب اللغة ويعلم علم اليقين أن هذا

(١) تقدمت الاشارة الى أن هذا من الابيات المكذوبة ، وهي مما صنعه الفرس في دولة بني العباس تقرباً اليهم وتنزيلا من قدر الدولة الاموية



مخبر لا يدل عليه لفظ الخبر ، فمن أين والى اين ؟ وانما هو المقصود ليخرج من التيه ، لا لان يمرح فيه

وأما ختمه الرسالة بقوله ان الذي حثه على ترك أكل الحيوان أن الذي له في السنة نيف وعشرون ديناراً يصير الى خادمه معظمها ويبقى له ايسرها ، فالضرورة تدعو الى مدافعة نفسه بالفطام عن لذيذ الطعام ، والاقتصار بها على جريشه ، فجسمه من الفضل والادب للفوائد ينبوع ، وحماهما ما دام باقيا ثابتا ممنوع ، وحمل مؤنة القدْر الذي يَطعمه لو كان ثقيلا لوجب تحمله ، فكيف وهو الخفيف محمله ، وقد كاتبتُ مولاي تاج الامراء حرس الله عزه أن يتقدم بازاحة العلة فيما هو بُلغة مثله من الذّ الطعام ، ومراعاته به على الادرار والدوام . لتنكشف عنه غاشية هذه الضرورة ، ويجري أمره في معيشته على أحسن ما يكون من الصورة . وهذا باب ينتجز بمشيئة الله وعونه

ثم ان قام من الشيخ حفظه الله نشطة لجواب يكتبه عن هذا التعليق اعفاني فيه عن قصد الاسجاع ولزوم مالا يلزم ، فان ملتمسي فيه المعاني لا الالفاظ





الجواب من أبي العلاء المعري

سيدنا الرئيس الأجل ، المؤيد في الدين ، عصمة المؤمنين ، هَدَى اللهُ الأمم بهدايته ، وسَلَكَ بهم طرقَ الخير على يده

فقد بدأ المعترفُ بجهله ، المقر بحيرته ، والداعي الى الله سبحانه أن يرزقَه ما قلّ من رحمته ؛ في أوّل ما خاطبه به أن ذكر اعتقادَه في سيدنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين ضوّأ اللهُ الظُلَم ببصيرته ، وأذهبَ شكوكَ الافئدة برأيه ، وما نَبَّهه عليه من الذلّة والحُقرية عنده ، وأنه يحسبها ساكنةً في بعض السُوّام . وعجيبٌ أن مثله يطلب الرشدَ ممن لا رُشد عنده ، فيكون كالقمر الذي هو دائبٌ في خدمة ربّه ليلا ونهارا يطلب الحقيقة من أقفرَ بفلاة يرد الماء على الصائد ويصيب قلبَه بسهم

وقد ذكر ـ أيّد الله الحقّ بحياته ـ بيتاً من أبياتٍ على الحاء ذكرَها وليُه ليعلم غيره ما هو عليه من الاجتهاد في التديّن ، وما حيلته في الآية « مَنْ يهْدِ اللهُ فهو المهتدِ ومن يُضْلل فلن تجدَ له وليّاً مُرْشدا » . والابياتُ أوّلها :

غدوتَ مريضَ الدينِ والعقل فالْقَني لتسمع أنباء الأمور الصحائح

وهو ـ أدام الله قدرته ـ يعلم أن الله سبحانه له أسرارٌ لا يقف عليها الا الأولياء ، وان المقول له في العالم عمل عظيم لا يصلون الى المنفعة الا به ، وهو يدلّهم على عبادة الله عزّ سلطانه وعلى جميع ما ينتفعون به من مأكول ومشروب وملبوس ، ويدلّهم على طلب المعايش والسعة في الارزاق . وبعد هذا البيت :

فلا تأكلنْ ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغِ قوتاً من غريضِ الذبائح



واذا سلّم المسلّم أن الباريء تقدّست أسماؤه له سرٌّ خفيٌّ لا يعلمه الاّ الانبياء ومن أخذ عنهم من الأئمة ، ولا يقدر أحدٌ أن الحيوان البحري لا يخرج من الماء الاّ وهو كاره للخروج ، واذا سُئل المعقول عن ذلك لم يقبّح تركَ أكله وان كان حلا ، لأن المتدينّين لم يزالوا يتركون ما هو لهم مطلق. وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يقوم الليل حتى تفرّحت قدماه ، فقيل له : يارسول الله لمَ تفعل ذلك وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر ؟ فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟

وأبيض أمّاتٍ أرادت صريحَهَ لأطفالها دونَ الغواني الصرائح

والمراد بالابيض اللبن ، ومشهور في الأمم أن الامّ اذا ذُبح ولدها وَجدتْ عليه وجداً عظيما وسهرت لتلك الليالى ، وقد أُخذ لحمه وتوفّر على أصحابِ أمه ما كان يرضع من لبنها ، فأيّ ذنب لمن تحرّج عن ذبح السليل ولم يرغب في استعمال اللبن ، وليس يعتقد فيه ذلك ولا يزعم أنه محرَّم ، وإنما تركَهُ اجتهاداً في التعبُّد ورحمة للمذبوح ، رغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السماوات والارض . واذا قيل ان الله سبحانه ساوى بين عباده في الاقسام ، فأي شيء أسلَفَته الذبائح من الخطأ حتى تُمنَع حظَّها من الرأفة والرفق ؟!

ولا تفجعنّ الطير وهي غوافلٌ بما وضعتْ فالظلم شرُّ القبائح

وقد نهى النبي ﷺ عن صيد الليل ، وذلك أحد القولين في قوله ﷺ : « أقِرُّوا الطيرَ في وكناتها » والاسلام ورد بأن لايضارُّ طائر ولا سواه . وفي الكتاب العزيز ـ يا سيدنا الرئيس المؤيد في الدين عصمة المؤمنين لازالت القلوب معمورة بعظاته — ما هو أعلم به من سواه ، وذلك قوله « يا أيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حُرُم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثلُ ما قتل من النعم » وقال في آخر الآية « ومن عاد فينتقمُ اللهُ منه والله عزيز ذو انتقام » .



وقال في موضع آخر « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أُحِلَّتْ لكم بهيمة الانعام إلاّ ما يُتلى عليكم غيرَ مُحِلِّي الصيد وأنتم حُرُمٌ إنَّ الله يَحْكُمُ ما يُريد » فاذا سمع من له أدنى حسّ بهذا القول فلا لومَ عليه اذا طلب التقربَ الى رب السماوات والأرض بأن يجعل صيدَ الحِلِّ كصيدِ الحرَم ، وان كان ذلك ليس بمحظور

وَدَعْ ضَرَبَ النحلِ الذي بكرَتْ له كواسب من أزهار نبتٍ فوائح

لما كانت النحل تحاربُ الشائرَ عن العسل بما تقدر عليه وتجتهد في أن تردّه من الجانين ، فلا غَرْوَ إن أعرضَ عن استعماله رغبةً فى أن يجعل النحل كغيرها ما تكره من ذبح الأكيل وأخذ ما كان يعيش به ليسرَّ به الفساء كي يبدُنَّ وغيرها من بني آدم

وقد وَصفَتْ الشعراء ذلك فقال أبو ذؤيب الُهذَليّ يصف مشتار العسل :

إذا لسعتْه النحلُ لم يرجُ لسعها وخالفها في بيت نور عوامل

وقال أيضاً :

فلما جلاها بالأيام تفرقت[1] ثبات عليها ذلّها وا كتئابها

والأيام الدُخان ، وقيل عود فيه نارٌ يدخل في موضع النحل ليهرب . وقال ساعدة بن جؤية :

قليل متاع المال الا مسابيا واخراجها تَعنى بها وتقيمها

فما برح الانسان حتى وضَعْنَهُ الى الثول يبقى حبّها ويثومها

يثومها أي يدخل الأيام في بيتها

وروي عن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه حكاية معناها أنه كان له دقيق شعير في وعاء يختم عليه ، فاذا كان صائماً أفطر على شيء من ذلك الدقيق ، وكان أول ما يطعم . فاطّلع على ذلك بعض أصحابه فقال لجارية له : أما تتقون الله

(١) فى لسان العرب (تحيزت)

في هذا الشيخ ؟ فقالت : وما نصنع به ، هو الذي يختار ذلك !

وقدكان عليه السلام يصل الى غلةٍ كثيرة ولكنه يتصدّق بها و يقتنع أشد اقتناع وروي بعض أهل العلم أنه قال في بعض خطبه : ان غلّته تبلغ في السنة خمسين ألف دينار . ورُوي أنه قُدم اليه خبيص في الكوفة ، فقال : هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أكله ؟ فقالوا : لا . فأمر برفعه

وهذا يدلُّ على أن المجتهدين من الأنبياء والأئمة يقصرون نفوسهم و يؤثرون ما يفضل منهم لأهل الحاجة . وفي الكتاب العزيز « و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خَصاصة » فحسبُهم من الشرف ما ذكر في هذه الآية من حميد الانتفاع والايثار بالقليل

وقد قلت في مخاطبة سيّدنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين عصمة المؤمنين — لازال ضياء قلبه يُضوّيء قلوب المؤمنين — : انى هبْتُ حضرته الجليلة ونسبت الاسترشاد الى من هو أفضل مني رتبة لأدخل في المنفعة بجوابه

وقد سألتُ من يسترشد أن يسأل عن قضايا خمس لم يجب منها عن واحدة وعدلَ سيدُنا الرئيس الأجلّ المؤيد في الدين الى الايماء بأن من ترك أكل اللحم ذميم ، ولو أخذ بهذا المذهب لوجب على الانسان أن لايصلّي صلاة الا ما افترض عليه ، لأنه اذا زاد على ذلك أدّاه الى كلفة ، والله تبارك اسمه لا يريد ذلك . ولوجبَ أن الذي يكون له مال كثير اذا أخرج عن الذهب رُبعَ العشر لا يحسن به أن يزيد على ذلك . وقد بعثُ الناس على النفقات في غير موضع من الكتاب العزيز كقوله تعالى جَدُّه « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتيَ أحدَكم الموتُ فيقول ربِّ لو لا أخرتني الى أجل قريب فأصَّدَّقَ وأكنْ من الصالحين » . وفي الكتاب العزيز « مَن ذا الذي يُقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له » . والمراد بالقرض ما لا يجب على الرجل من



إخراج الزكاة لان زكاته دَين للمساكين عليه ، ولو أن رجلا له عبيد أطعم اثنين منهم وترك بقية العبيد فاقتنع أحد العبيد ببعض مارزق وأطعم باقيه للعبيد الذين لم يطعموا شيئاً واستعان بعضهم على مآرب تؤدّيه الى عبادة الله كاتيانه بالماء الطهور وتعمدهم مادنس من لباسه بالغسل لم يكن ذمياً في ذلك ولم يستحقّ من مولاه العقوبة

والعبدُ الضعيف العاجز قد افتقر الى مثل ذلك ، ولو مثلَ في حضرته السامية لعلم أنه لم يبق فيه بقية لأن يُسأل ولا أن يجيب لأن أعضاءه متخاذلة وقد عجز عن الصلاة قائماً وانما يصلّي قاعداً . والله المستعان

وكيف له أن يكون يصل الى أن يدبَّ على عكاز أو يتبع من اتفق له من قائد كما قال أعشى بكر :

اذا كان هادي الفتى في البلا د صدر القناة أطاع الاميرا
وهاب العثار اذا مامشى وخال السهولة وعثا وعورا

وكيف للعبد الضعيف العاجز أن يكون اذا مشى يعثر لأنه لايعثر الاّ وهو على المشي قادر ، وكيف له أن تكون حاله كحال لبيد لما قال :

أليس ورائي إن تراخت منيتي ركوب العصا تُحنى عليها الاصابع
أخبّر أخبار القرون التي مضت أدبُّ كأني كلما قمت راكم

كيف لى بهذه الرتبة ، ولكن حِيلَ بين العير والنزَوان كما قال صخر بن عمرو بن الشريد :

أهمّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حِيل بين العير والنزوان
وللموتُ خيرٌ من حياة كأنها مُعرَّس يعسوب برأس سنان

واني لأعجز اذا اضطجعت عن القعود فربما استعنت بانسان فاذا ضمَّ باعانق وبسط يديه لينهضني اضطربتْ عظامي لأنهن عاريات من كسوةٍ كانت عليهن



خمرتهن منها الاوقات المتمادية ، وانما عنيت ما كان عليهن من اللحم

وأما تمثله ببيت أبي الطيب فلو بلغه ذلك لابتهج اذ كان مثله يتمثل بشيء مما نظمه ، وقد قال لعليّ بن عبد الله بن حمدان لما سمعه ينشد بيتين من شعر النابغة أغلب الظن أن الاول منهما :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفَهم   بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

سمعتك منشـداً بيتي زياد   نشيداً مثل قائله كريما
فما أنكرتُ موضعه ولكن   غبطتُ بذاك أعظمَه الرميا

ولو بلغه هذا الخبر لكان سروره به أعظم من سروره بتمثّل ابن حمدان ، لأن ذلك الرجل كان صاحب سيفٍ وسيدُنا الرئيس الاجلّ صاحبُ ورع ودين وهداية ينتفع بها المهتدون

ومن استرشد بمثل العبد الضعيف العاجز فانما مثَله مثَل من طلب في القتادة ثمر النخلة ، وانما حملَ سائلَه على ذلك حسن الظن الذي هو دليل على كرم الطبع وشرف النفس وطهارة المولد وخالص الخِيْم . ومن استرشد بسيّدنا الرئيس الاجلّ المؤيد في الدين ـ أجزل الله حظَّ الاسلام بدوام أيامه ـ كان كطالب الذهب من معدِنه   في النيل ومشبهه

فأما ماذكره من المكاتبة في توسيع الرزق عليَّ فبذل افضال ورثه عن أب فأب وجد في أثر جدّ حتى يصل النسب الى التراب الذي خلق الله منه آدم ﷺ ، كما قال الأسدي :

فَضَلْنا الناسَ أنّا أوّلوهم   وأن مكارم الاخلاق فينا
أباً فأباً اذا نحن انتسبنا   الى أن يبلغ الانسان طينا

وأما العبد الضعيف العاجز فما له رغبة في التوسع ومعاودة الاطعمة ، وتركها



صار له طبعاً ثانياً ، وله ما أكل شيئاً من حيوان خمسٌ وأربعون سنة . وقال الشاعر :

والشيخ لايترك عاداته حتى يُوارَى في ثرىً رمسهِ

وأرجو أن لا يكون العبدُ الضعيف العاجز أحد الجاهلين الذين قال فيهم الشاعر :

مايبلغ الاعداء من جاهل مايبلغ الجاهلُ من نفسهِ

وقد علم أن السيد الاجلّ تاج الامراء فخر الملك عمدة الامامة وعدَّة الدولة ومجدها وعزّها ذا الفخرين أعزّ الله نصره يضيف أولاد سام ومن وَلَدَهُ أخوه حام و كذلك نسل يافث ، ولو فُتحت يأجوج ومأجوج لجاز أن يضمن لهم قِرَى الاضياف . وودّ العبد لو أن قلعة حلب ـ حماها الله ـ وجميع جبال الشام جعلها الله القادر ذهباً انفقة السيد الاجل تاج الامراء خلّد الله امارته في نصر الدولة النبوية على إمامها السلام ، وكذلك على الائمة الطاهرين آبائه ، من غير أن يصير الى العبد الضعيف العاجز من ذلك قيراط وهو يستحي من حضرة تاج الامراء أدام الله جلالته أن ينظر اليه بعين من رغب في العاجلة من بعد مازهد وقد رضي أن يلقى الله جلّت قدرته وهو لا يُطالَب الا بما فعل من اجتناب اللحوم فان وصل الى هذه الرتبة فقد سعد . وفهمت ما نُهي عنه من اجتناب السجع ، وقد أدّبني بما قال أدبَ النبي ﷺ حين قال له القائل لما ذكر الجنين : « أرأيت من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح ولا استهلّ ، أليس مثل ذلك بطل ـ و روى يُطل ـ » فقال ﷺ « أسجعاً كالجاهلية ؟ » على أن الناس في الاسلام قد استحسنوا السجعات وكثرت في خطبهم ومراسلاتهم فقلَّ ما يخطب بخطبة على منبر الا وفيها سجعٌ . وأما خطباء العراق فعهم خطب تكون من أولها الى آخرها مسجوعة على الباء أو التاء أو غيرها من الحروف . وروي أن بعض الملوك قال لبعض الفقهاء : بلغني أنك تحب السجع . فقال : نعم . وقرأ عليه آيات من قوله تعالى « والشمس وضحاها »

والفواصل التي جاءت في الكتاب الاشرف على ضروب : منها ماهو متباعد



لايجري مجرى السجع ، وفيه مايجري مجرى المسجوعات . كقوله تعالى « والفجر وليال عشر والشفع والوتر » وكذلك قوله « ألم تر كيف فعل ربك بعاد » واذا جاءت الكلمات مختلفات الاعراب ـ بعضها مرفوع وبعضها منصوب وبعضها مخفوض ـ فمن الناس من يرى ذلك سجعاً ، ومنهم من لايدخله في باب المسجوع فاذا اختلفت أوائل الكلمات في الضم والفتح والكسر ففيه اختلاف كاختلافهم في الاعراب

ولو علِمَتِ الحمائمُ الساجعة أن الله سبحانه ، أو نبيه ﷺ ، يكره سجيعها على الغصون لخرست عنه وتبرّأت منه . وكذلك النوق الموصوفة بأنها ساجعات كما قال تميم بن نُويرَة :

إذا حنَّت الاولى سجعن لها معا

وإنما كرهه عليه السلام لأنه قد كثر في كلام الكهان فنهى عنه غيرَ محرِّمٍ له ، وقد روي عنه كلام مسجوع في حديث جرير بن عبد الله البجلي ، منه قوله لما سأله عن المرعى والماء « خيرُ الماء الشبم ، وخير المرعى السَّلَم . اذا سقط صار درينا ، وإذا خبط جعل لجينا » وسيّدنا الرئيس الاجلّ المؤيد في الدين لا زالت حجته باهرة ، ودولته غالبة ، كما قال زهير :

لعمرُ أبيك ما هرِم بن سلمى بملحيٍّ إذا اللؤماء لِيموا
ولا ساهي الفؤاد ولاعييّ اللـ ـسان اذا تشاجرت الخصوم

وكما قال ثعلبة بن صعير المازني :

ولربَّ قوم ظالمين ذوي شذى تغلي صدورهم بهتر هاتر
لُدٍّ ظأرتهمُ على ما ساءهم وخسأت باطلهم بحق ظاهر

ولو ناظر ارسطاطاليسَ لجاز أن يفحمه ، وأفلاطون لنبذ حججه خلفه . والله يجمّل بحياته الشريعة ، وينصر بحجته الملة . والسلام



الجواب من سيدنا المؤيد في الدين

وسبق بوفوده موت أبي العلاء المعري

ما فاتحتُ الشيخَ ـ أحسنَ الله توفيقه ـ بالقول إلا مفاتحةَ متناكر مُوثر لأنْ لا يخفى من أين جاءه السؤال ، فيكون الجواب باسترسال ورفض حشمة(١) وحذف تكلف الخطاب بسيدنا والرئيس وما يجري هذا المجرى ، اذ كان حكم ما نتجارى فيه موجباً أن لا يتخلله شيء من زخارف الدنيا ، ولانني أعتقد أن « سيدي » بالحقيقة من تستقلُ دون يده يدي أخذاً منه للدنيا ، أو تمتار نفسي من نفسه استفادة من مَعالم الاخرى ، فلا أدري كيف انعكست الحال حتى صار الشيخ ـ أدام الله تأييده ـ يخاطبني بسيدنا والرئيس ولست مفضلًا عنه في دنيا ولا دين ، بل شادٌّ راحلتي اليه لاستفادةٍ إن وردتُ مَوْردها أو صادفتُ منهلا أو علاً منها قابلتها بالشكر لنعمته والاسجال على نفسي بسيادته

وبعدُ فاني أعلمه ـ أدام الله سلامته ـ أنني شققتُ بطنَ الارض من أقصى دياري الى مصر ، وشاهدتُ الناس بين رجلين : اما منتحلا لشريعةٍ صباً اليها ولهجَ بها الى الحدّ الذى ان قيل له من أخبار شرعه : ان فيلا طار ، أو جملا باض لما قابله الا بالقبول والتصديق ، ولكان يكفِّر من يرى غيرَ رأيه فيه ويسفهه ويلعنه . فالعقلُ عند مَن هذه سبيله في مَهواة ومضيعة ، فليس يكاد يَنبعث لأن يعلم أن هذه الشريعة التي ينتحلها لم يطوِّق طوقها ولم يُسوِّر سوارها إلا بعد

(١) في الاصل (ورحص)



لموع نور العقل منه ، فكيف يصحّ توليته أوّلا وعزله آخراً ، ولمَ لا يتساوى طرفاه ولاية أو يتساوى طرفاه عزلا ، ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . أو منتحلا للعقل يقول انه حجة الله تعالى على عباده ، مبطلا لجميع مالناس فيه ، مستخفاً بأوضاع الشرائع ، معترفاً مع ذلك بوجوب المساعدة عليها وعظم المنفعة بمكانها لكونها مقمعة للجاهلين ، ولجاماً على رءوس المجرمين المجرمين ، لا على أنها ذخيرة للعقبى أو منجاة في الدار الاخرى .

فلما رمَت بيَ المرامى الى ديار الشام ومصر سمعت عن الشيخ ـ وفقه الله ـ بفضل فى الأدب والعلم قد اتفقت عليه الاقاويل ، ووضح به البرهان والدليل . ورأيت الناس فيما يتعلق بدينه مختلفين ، وفى أمره متبلبلين : فكل يذهب فيه مذهباً ، ويتّبع من تقاسيم الظنون سبباً . وحضرت مجلساً جليلا أجري فيه ذكره فقال الحاضرون فيه غثا وسمينا . فحفظته بالغيب ، وقلت ان المعلوم من صلابته في زهده يحميه من الظنّة والريب . وقام في نفسى أن عنده من حقائق دين الله سراً ، قد أسبل عليه من التقية ستراً ، وأمرا تميز به عن قوم يكفّر بعضهم بعضاً ، ويلعن بعضهم بعضا . ولما سمعت البيت :

غدوت مريض الدين والعقل فالقني لتسمع أنباء الامور الصحائح

فوثقتُ من خلدي فيما حدست عقوده ، وتأكدت عهوده . وقلت : ان لساناً يستطيع بمثل هذه الدعوى نطقا ، ويفتق من هذا العظيم رتقا ، للسانٌ صامتٌ عنده كلُّ ناطق ، وناطق من ذروة جبل من العلم شاهق . فقصدته قصد موسى عليه السلام للطور أقتبس منه ناراً ، وأحاول أن أرفع بالفخر منارا ، بمعرفة ماتخلّف عن معرفته المتخلفون ، واختلف في حقيقته المختلفون . فأدليتُ دلوي بالمسألة الخفيفة التي سألتُ : ترقياً من دون الى فوق ، وتدرّجاً من صغير الى كبير ، فكان جوابه أنه يصغر عن أن يكون للاسترشاد محلا ، وأن يَشدّ اليه شادٌ فيه رحلا ،



فقلت : هذا زيادة في فضله ، وما يجوز صدور مثله عن مثله . ثم انتهى الى الاحالة على كون الناس ـ مَن تقدَّم منهم وتأخر ـ في وادي الحيرة تائهين ، وبأذيالها متعثرين ، فمن قائل يقول : ان الخير والشر من عند الله سبحانه . ومجيبٍ يجيبه: هل كان [ما] يستعيذ منه رسول الله ﷺ من وعثاء السفر وكلُّ مُستعاذٍ منه خيراً أو شرا ؟ فان كان خيراً فالاستعاذة منه باطلة ، وان كان شراً واللهُ مريده فالاستعاذةُ منه فضول وزيادة في المعنى . وسؤال من يسأل : هل كان سمُّ الحسن وقتل الحسين عليهما السلام خيراً أو شرا ؟ فان كان خيراً فاللعنة على القاتل من أيّ جهة ؟ وان كان شراً واللهُ مريدُه زال اللوم عن القاتل . وقائل يقول : إن الخير من الله والشرُّ من غيره . ومجيب يجيبه بالجواب الذي يقطع به الاسباب . وغير ذلك مما أطال الخطاب به من أشعار الملحدة وأقوالهم . فكان جوابي له ـ أدام الله سلامته ـ انني من هؤلاء الذين ذكرتَهم هربتُ اليك ، وتطارحتُ عليك . وان كلامهم قبل أن علَّلته عليل ، وهو على مسامع القبول مني ثقيل . فافتح لي إلى ما عندك بابا ، وأفسح لى من لدُنْكَ جنابا . فلم يفعل . ثم خاطبتُه على امتناعه من أكل اللحوم فاحتجَّ بكونه متحرّجا من قصدها ـ أعني البهائم ـ بالمضرَّة والايلام ، متعففاً عنها لهذه الجهة . فقطعت لسان حجته بعد تباهيها ، وقلت : اذا كان الله سلط بعضها على بعض يأكله وهو أعرف بوجوه الحكمة وأرأف بالخليقة فلا يكن أرأفَ بها من ربها ولا أعدل فيها من خالقها . ثم عدل الى ذكر قصور يد الاستطاعة دون ذلك اذ كان القَدْر الذي هوله في السَنَة مصروفا الى من تولّى خدمتَه أكثرُه وخالصاً له أقلُّه . فقطعت الحجة في هذا الباب أيضا وعيّنتُ له على جهة كريمة من الذين لا يُتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى ، يقوم بقدر كفايته من أطيب ما يأكلون ، وأزكى ما في البيوت يدَّخرون . فتجافتْ نفسه ـ وقاها اللهُ السوء ـ عن هذا الباب أيضا ، وكتب في الجواب الثاني بأنه لا يؤثره ولا يرغب فيه ، ولا يخرق عادته المستمرة في التَّرْك ، وابتدأ يقول :



اني أطلب الرشد ممن لا رشد عنده ، وان البيت الذي قاله مما جعلتُه محجة الى استقراء طريقته ومذهبه انما أراد الاعلام باجتهاده في الدين ، وما حيلته في الآية المنزلة : « من يَهدِ اللهُ فهو المهتد ، ومن يُضلل فلن تجدَ له وليّاً مرشدا » فجمع بين المتضادّين في كلمة واحدة : ان كانت الآية حقاً كان الاجتهاد باطلا ، وقال: ان للهِ سبحانه أسراراً لا يقف عليها الا الاولياء ، فنحن على ذلك ندور وعلى باب من هو عنده نطوف . فان قلنا انه ـ حرسه الله من أصحابه ـ بدعوى صحته في دينه وعقله ومرض الناس على موجب قوله في نيته قال لارشد عندي ، فنظمُه في هذا المعنى يخالف نثره ونثره يخالف نظمه فكيف الحيلة . ثم قال ان البيت المقول :

غدوت مريض الدين والعقل فالقني

يؤدي معناه الى البيت الثاني :

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالما

فكان مرض العقل والدين من جهة أكل اللحوم وشرب الألبان وتناول العسل ، فمن ترك هذه المطاعم كان صحيحاً في دينه وعقله ، وهو يعلم أن مصحة الاديان والعقول لا تقوم بذلك ، ولا يجوز أن يكون هذا البيت الثاني ناسخاً لحكم الاول فيكون محصول دعواه في فقر الناس الى أن يصحح عقلهم ودينهم هو أن نقول لهم : لا تأكلوا اللحم ولا تشربوا اللبن

وأما قوله ان الحيوان البحري كاره لأن يخرج الى البرّ وأنه ليس يقبح في العقول ترك أكله وان كان حلالا ، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم طلق مباح . فما من حيوان بريّ ولا بحريّ هو أجلُّ من هذا الانسان الحي العاقل الناطق ، وهو كاره لان يأكله شيء ، والدودُ يأكله في قبره . فان كان ذلك صادراً عن موضع حكمة كان ما ذكره من الحيوان البري والبحري جاريا في مضمار هذا مِثلا بِمثل ، وان كان معدولا به عن وجه الحكمة كان محالا أن يكون صانعي سفيها وأكون أنا مصنوعُه حكيما



وأما قوله ان النبي ﷺ صلّى الى أن تقرّحت قدماه فقيل له فيه فقال: «أفلا أحب أن أكون عبداً شكورا» فما هذا مما نحن عليه في شيء، والانسان له أن يصلي ما شاء من الصلوات في الاوقات التي تجوز فيها الصلاة، على أنْ لا يزيد في الفرائض ولا ينقص منها. وهذا الكلام شرعيّ وكانت القضية في التكلم على العقليات

وأما قوله انه عليه السلام حرّم صيد الحرم وان لغيره أن يحرّم صيد الحل تقربا الى الله سبحانه فليس لاحد أن يحلل أو يحرم غيره

وأما قوله ان علياً عليه السلام لما قدّم له الخبيص سأل: هل أكل النبي عليه السلام منه؟ فقالوا: لا. فرفعه ولم يأكله. فهذه الحجة عليه لا له، فان الناس مجمعون على أن النبي ﷺ لم يفارق أكل اللحم ولم يهجره دهره، وذلك بالضد سواه ولو لا انه ـ حرسه الله ـ لم يستظهر عليّ بالشريعة ولم يجاوز نصبة العقل لصنته عن هذا الجواب الذي عسى أن يشغل سره ويعز عليّ ذلك

وأما ما شكاه من ضعفه وقصور حركته وقوله انه لم يبق فيه بقية لأنْ يُسأل ولا أن يُجيب، فما هو ـ حرسه الله ـ على علاته من الضعف والقوة الا من محاسن الزمان، وممن سارت بذكر فضله الركبان، الا أنه ـ على عدوان الدهر عليه ـ عدا على نفسه بحرمانها ملاذ دنياها، فانْ وثقتْ نفسه بملاذّ يعتاض عنها مما هو خير وأبقى منها فما خسرت صفقتُه وقام مصداق قوله بالبيت المقدَّم ذكره. وان كان توسم بميسم الشح بمنع المنتجعين، ورد السائلين. وان كان شق على نفسه من غير بصيرة كما يدعيه الآن خوضاً مع الخائضين وتحيراً مع المتحيرين؛ فقد أضاعها وجنى عليها وادّعى في البيت المقدم ذكره ما لا برهان له به. والغرض في السؤال والجواب الفائدة، فاذا عُدمت فقد خفف الله عنه أن يتكلف جوابا

وأما الاسجاع ومسألتي التخليّ عنها، فما كانت الاشحًا بالمعاني أن يصل تتبعها



ولكني اذا تتبعت فضله بمصنفاته في الادب والشعر وجدت في أرضه مُراغما كثيرا ومن أين لى أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه كظهوري على مصنفات أدبه وشعره. وقبلُ وبعدُ فأنا أعتذر عن سر له ـ أدام الله سلامته ـ أديته، وزمان منه بالقراءة والاجابة شغلته. لانني من حيث ما نفعته ضررته. والله تعالى يعلم أني ماقصدت به غير الاستفادة من علمه والاغتراف من بحره. والسلام

فهرس

صفحة







مكتبة
التنوير

المعروف عن حكيم الشعراء وشاعر الحكماء أبي العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان التنوخي أنه كان يعيش عيشة الزهد ، وهو القائل :

فاتركْ لأهل الملك لذّاتهم فحسْبُنا الكمأةُ والاجبلُ
ونشرب الماء براحاتنا ان لم يكن ما بيننا جُنبُل (١)

وكان في الشطر الثاني من حياته صائم الدهر ، مجتنباً أصناف اللحوم متعففاً من صيد البر والبحر ، حتى لقد مرض مرة فوصف له الطبيب الفرّوجَ ، فلما جيء به لمسه بيده وقال :

استضعفوك فوصفوك ، هلاّ وصفوا شبل الاسد !

واستدل وطنيه ابن الوردى من قول تلميذه أبي الحسن علي بن الهمام في رثائه :

ان كنتَ لم تُرِقِ الدماء زهادة فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما

على أن اجتنابه أكل اللحم كان عن زهد مباح ، لا عن رأي في ذلك يخالف به الاديان . وذلك من قبيل ما روي عن رسول الله ﷺ أن أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشربة بعسل فوضع القدح من يده وقال « أما أني لست أحرّمه ، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى »

وفي السنة التي انتقل فيها هذا النابغة الزاهد العظيم الى رحمة ربه زار مدينة حلب أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران أحد كبار علماء الامامية المتبوىء منصب داعي الدعاة الى مذهب الفاطميين ، فأراد أن يداعب الشاعر الحكيم وهو في آخر شيخوخته ، فكتب اليه يستنكر اجتنابه أكل اللحوم ويسأله بيان الحجة في استحسان هذا النوع من الزهد ، ودارت بينهما على أثر ذلك هذه الرسائل الخمس التي كان آخرها بقلم داعي الدعاة الفاطميّ وكان وصول تلك الرسالة الى المعرّة عند وفاة شيخها وحكيمها رحمه الله